الأديان السماوية والعولمة " جدلية التحاور والتنافر"

monotheistic religions and globalization

"dialectic of dialog and disharmony"

بلعيرم يوسف

كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2 محمد بن أحمد

تاريخ الاستلام: 2020/09/14 تاريخ القبول: 2020/09/22 تاريخ النشر: 2020/12/30

ملخص:

تتميز رسالات الأديان السماوية وخصوصا الإسلام بالنزوع نحو العالمية فهي تخاطب كل إنسان بغض النظر عن الزمان والمكان الذين يعيش فيهما وعن الحضارة التي ينتمي إليها ، فالأديان السماوية تخاطب البشر جميعا إنطلاقا من القواسم المشتركة : أصل الخلق والنشأة والكرامة الإنسانية والحقوق الإنسانية العامة ووحدة الألوهية وحرية الإختيار ووحدة القيم والمثل الإنسانية العليا ، وفي الوقت نفسه تتعامل مع الإختلافات بين البشر على أنها من السنن الإلهية والكونية ، والعولمة كمنجز إنساني تسعى إلى جعل الشيء عالميا إقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا فإنها تلتقي مع الأديان السماوية في منطلق العالمية غير أنها تتجاذبها جدليتان متناقضتان فهي من ناحية تجعل من قطب واحد مهيمنا على اقتصاد وثقافات العالم ملغيا التفرد المحلي والمصالح القومية ، ومن ناحية أخرى تهدف إلى التحاور مع الآخرين وتلاقح الثقافات والإقتصاد بما يجلب للمجتمعات مزيدا من الرقي والإستقرار والأمان ، ومن هذا المنطلق نطرح إشكالية جدلية علاقة الأديان السماوية بالعولمة بين التحاور والتنافر ، ويمكننا أن نطرح التساؤلات التالية : ما علاقة الأديان بالعولمة ؟ هل العلاقة بين الأديان والعولمة علاقة تحاورية أم تنافرية ؟ ماهي الجوانب السلبية والإيجابية للعولمة ؟ هل يمكن إيجاد قاعدة مشتركة بين الأديان والعولمة لخدمة الإنسانية ؟

الكلمات المفتاحية : الأديان السماوية ، العولمة ، التحاور ، التنافر ، الإنسان .

1- **اسم المؤلف، يوسف بن لعيرم** ، belairemyoussef@yahoo.com ،طالب في مرحلة الدكتوراه، فلسفة عامة مخبر البحث،الفلسفة وتاريخها بجامعة وهران2

Abstract :

The messages of monotheistic religions especially Islam are featured by the tendency towards universality. So it addresses any human regardless the place and time he lives in or civilization to which he belongs. Monotheistic religions address all people based on common aspects: the origin of creation, human dignity, general human rights, the unity of divine, freedom of choice and the unity of high human values and ideals. They deal, at the same time, with the differences between humans as divine universal laws.

Globalization, as a human product, aims to make the thing economically, politically, socially and culturally speaking universal, so it meets monotheistic religions at the point of universality, but it is surrounded by two opposing dialectics. On one hand, globalization makes one pole dominating the world's economies and cultures and eliminating the local uniqueness and national interests. On the other hand, it seeks communication with others and mating cultures and economies what provides societies with more sophistication, stability and security.

Based on this ground, we propose the dialectic relationship between monotheistic religions and globalization in terms of dialogue and opposition "disharmony", so we design the following questions:

What is the relationship between religions and globalization?

Is this relationship communicative (interactive) or repulsive?

What are the positive and negative aspects of globalization?

Is it possible to find a common base between religions and globalization to serve humanity?

Keywords: monotheistic religions, globalization, communication, disharmony, the human.

مقدمة :

لقد كان عصر الأنوار في العالم الغربي بمثابة القطيعة مع الدين وتجاوز الكنيسة بسلطتها اللاهوتية والسياسية والإيذان بعصر جديد ، عصر العلم والمعرفة ، عصر مركزية الإنسان في الكون ، وسرعان ما تنامت هذه الأنا الغربية وتعاظمت حتى وصلت في لحظة جنون إلى إعلان موت الإله على لسان الفيلسوف نيتشه هذا الإعلان الذي يعد بمثابة تمهيد السبيل إلى ظهور مجتمعات لادينية إلحادية لا تؤمن بشيء غير الإنسان والمادة ولعل والعولمة كمنجز إنساني بشري تعد وجها آخر لهذه المجتمعات حيث النسبية الأخلاقية واللادين ليس على المستوى المحلي فحسب وإنما تسعى إلى جعل كل شيء عالميا إقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا وقيميا .

ولكن بعد عقود من صرخات نيتشه شهد العالم عموما والعالم الغربي خصوصا موجة تدين كبيرة وفي أكثر الدول علمانية ولادينية التي كانت مهدا لعصر الأنوار الأمر الذي يثبت أن الدين حاجة طبيعية في الإنسان لا يمكنه الإستغناء عنها تماما كما لا يستغني عن الطعام والشراب هذا على صعيد الأهمية ،

أما على صعيد الخصائص فالأديان السماوية وخصوصا الإسلام منها تتميز بالنزوع نحو العالمية فهي تخاطب كل إنسان بغض النظر عن الزمان والمكان الذين يعيش فيهما وعن الحضارة التي ينتمي إليها ، فالأديان السماوية تخاطب البشر جميعا إنطلاقا من القواسم المشتركة : أصل الخلق والنشأة والكرامة الإنسانية والحقوق الإنسانية العامة ووحدة الألوهية وحرية الإختيار ووحدة القيم والمثل الإنسانية العليا ، وفي الوقت نفسه تتعامل مع الإختلافات بين البشر على أنها من السنن الإلهية والكونية .

فالأديان السماوية تلتقي مع العولمة في منطلق العالمية غير أن هذه الأخيرة تتجاذبها جدليتان متناقضتان فهي من ناحية تجعل من قطب واحد مهيمنا على اقتصاد وثقافات العالم ملغيا الخصوصية الثقافية والتعدد الحضاري ، ومن ناحية أخرى تدعي أنها تسعى إلى التحاور مع الآخرين وتلاقح الثقافات والإقتصاد بما يجلب للمجتمعات مزيدا من الرقي والإستقرار والأمان ،

ومن هذا المنطلق نطرح إشكالية جدلية علاقة الأديان السماوية بالعولمة بين التحاور والتنافر ، ويمكننا أن نطرح التساؤلات التالية :

ما مفهوم الدين ؟ وما مفهوم العولمة ؟ ماهي الجوانب السلبية والإيجابية للعولمة ؟ وما علاقة الأديان بالعولمة ؟ هل العلاقة بين الأديان والعولمة علاقة تحاورية أم تنافرية ؟ ما علاقة المسيحية بالعولمة ؟ كيف ينظر الإسلام إلى العولمة ؟ هل يمكن إيجاد قاعدة مشتركة بين الأديان والعولمة لخدمة الإنسانية ؟

تأسيس مفاهيمي :

مفهوم الدين : الفرنسية religion ، الإنجليزية religion .

الدين في اللغة العربية العادة والحال والسيرة والسياسة والرأي والحكم والطاعة والجزاء ومنه مالك يوم الدين ، وكما تدين تدان .[1]

في معجم لسان العرب لابن منظور تشترك معاني الدين في الذل والخضوع ، فالدين هو عبارة عن خضوع وطاعة مطلقة لقوة ما أو لشريعة ما أو لنظام ما ، [2]

أما اصطلاحا : فعرفه بعضهم بـ " الشرع الإلهي المتلقى عن طريق الوحي " وهذا تعريف أكثر المسلمين ، وما يلاحظ على هذا التعريف قصره الدين على الدين السماوي فقط .

ويرى آخرون أن الدين هو اعتقاد قداسة ذات ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذلا وحبا ، ورغبة ورهبة "

بعضهم يخصصه بالناحية الأخلاقية كقول كانط kant " بأن الدين هو المشتمل على الاعتراف بواجباتنا كأوامر إلهية"

وآخرون يخصصونه بناحية التفكر والتأمل كقول رودوك أيوكن : " الدين هو التجربة الصوفية التي يجاوز الإنسان فيها متناقضات الحياة " [3]

ما ذكرناه سابقا من التعريفات نلاحظ أنها تنظر إلى الدين من زاوية ما وتهمل زوايا أخرى .

لا نكاد نجد تعريفا واحدا للدين بل هناك عدة تعاريف حسب المجال البحثي وايديولوجيات ومشارب أصحابها ، ولكن يمكن انتقاء تعريف مقبول إلى حد ما في الانثربولوجيا ، فحسب الأستاذ طيبي غماري في مقاله الموسوم بتصورات في الدين والثقافة والعولمة ، الدين هو : " نسق من الرموز يعمل على ترسيخ أشكال وتحفيزات قوية عارمة ومستديمة داخل الإنسان من خلال بناء تصورات عن النظام العام للوجود وربط هذه التصورات بحالة من التعاطف تجعل هذه الأشكال والتحفيزات واقعية بشكل استثنائي " [4].

---

[1] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت- لبنان ، 1982 ، ص 572

[2] المرجع نفسه

[3] عادي بن عبد القادر السقاف ، تعريف الأديان لغة وإصطلاحا ،https://www.dorar.net/adyan/5/

[4] طيبي غماري ، تصورات الدين والثقافة والعولمة " تبرير للحوار أو للقطيعة بين الشعوب " ، مجلة تبين ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، قطر العدد 4 ، 2013 ، ص 6

من خلال التعاريف السابقة يمكننا أن نخلص إلى تعريف للدين من وجهة نظر شخصية أنه اعتقاد تقديس ذات ذلا وحبا رغبة ورهبة ينبني عليه تصور للنظام العام للوجود والذي يتجسد في شكل سلوكات روحية أو أخلاقية أو تشريعية قد يقوم على القلب أو العقل أو عليهما معا .

مفهوم العولمة : بالفرنسية la mondialisation ، بالإنجليزية Globalization

يمكن النظر إلى العولمة من وجهين : الأول اقتصادي وهذا الوجه لا نركز عليه كثيرا في بحثنا ، والثاني ثقافي وهذا المعنى الذي نشير إليه لارتباطه العضوي بموضوعنا محل التحليل أي الأديان السماوية .

فتشير العولمة على المستوى الثقافي إلى : الانتشار العالمي للأشكال والمعاني الثقافية ذلك أن المعلومة وتكنولوجيات الاتصال فتحت الكثير من قنوات الاتصال التي تتجاوز الحدود الوطنية لتخلق كمية كبيرة من الصور والعادات الثقافية الجديدة ، إنها تتحرك بسرعة حتى وإن كان هناك فروق في كمية المعلومة وشدتها بين مختلف مناطق العالم" .[5]

من خلال ما سبق تتجلى لنا أن الحراك الثقافي في عصر العولمة أصبح متسارعا جدا وأن الحدود الوطنية الجغرافية لم يعد لها أي معنى فإنتاج المعلومة أصبح منفلتا عن وسائل الرقابة المحلية ، بل الأكثر من ذلك فمؤسسات إنتاج المعلومة أصبح بإمكانها انتاج المعلومات وتوزيعها والتلاعب بمحتواها وشكلها مما يؤثر حتما على العلاقات بين الشعوب والثقافات سواء سلبيا أم إيجابيا .[6]

ولأدل مثال على ذلك التسيير الإعلامي الأمريكي لفترة ما بعد 11 سبتمبر 2001 وتلك السرعة التي حققها الإنجاز الإعلامي الذي مكن أمريكا من غزو دولتين مستقلتين واستعمارهما بتكاليف أقل وبسرعة فائقة ، الأمر الذي يوحي أن القوة الإعلامية في عصر العولمة أخطر بكثير من القوة الإقتصادية والقوة العسكرية إن لم نقل أنه لا يمكن لهاتين القوتين أن تكونا دون قوة إعلامية .[7]

التجليات السلبية والإيجابية للعولمة :

1- التجليات السلبية :

إذا تأملنا الشق السلبي للعولمة عند كثير من الباحثين فنلاحظ مواقف كثيرة تجاهها تدعو إلى الشك فيها والتردد في قبولها وتوجيه سهام النقد اللاذع لها ، ومن أهم الأوجه السلبية للعولمة ما يلي :

---

[5] طيبي غماري ، تصورات الدين والثقافة والعولمة " تبرير للحوار أو للقطيعة بين الشعوب ، مرجع سابق ، ص 10

[6] المرجع نفسه ، ص 10

[7] المرجع نفسه، ص 10

- ذوبان الهوية والشخصية الوطنية المحلية وانصهارها في إطار الهوية الشخصية العالمية مما يؤدي ذلك إلى التنصل من مرجعيته وانتمائه .
- ذوبان الثقافة والحضارة الوطنية المحلية في الثقافة العالمية أي خلق حالة اغتراب

بين الإنسان وتاريخه الوطني والمورثات الثقافية والحضارية التي أنتجها الآباء والأجداد .[8]
- تهميش أو تجاوز المصالح والمنافع الوطنية عند تعارضها مع مصالح العولمة عبر تدفقاتها المختلفة في كل المجالات كونها تدفع إلى الإنفتاح الواسع وإلغاء كل القيود التي تمنعها من تحقيق ما تصبوا إليه .
- السيطرة على الأسواق المحلية وذلك من خلال قوى فوقية تمارس سطوتها ذات النفوذ القوي على الكيانات المحلية الضعيفة وتحولها إلى مؤسسات تابعة لها .[9]
- فرض الوصاية الأجنبية على اعتبار أن العولمة مصدرها أجنبي وأن هذا الأجنبي هو أكثر تقدما وتطورا مما يفرض نفسه على المحلي الوطني في شكل موجات متتالية حتى يتوقف عن المقاومة ويستسلم لتيار العولمة ومن ثم يرضخ لمطالبه .

2- التجليات الإيجابية :

إن أهم محور رئيس للعولمة هو النشاط الإقتصادي وأهم أدواته الفعالة الشركات ذات النشاط العالمي متعددة الجنسيات التي تتميز بتفوق تنافسي قوي ومن ثم فإن العولمة تقوم على الإنتخاب الإنتقائي للمتفوقين ،

ومن أبرز الجوانب الإيجابية للعولمة ما يلي :

- إعادة تشكيل العالم إنتاجا وتسويقا وتمويلا وتنمية بشرية من خلال مؤسسات إقتصادية عالمية ضخمة جدا تسهم في تطوير الصناعة والزراعة والخدمات الإجتماعية على مستوى جميع مناطق العالم ومن ثم يتم امتصاص الفوارق القائمة والتحول من اقتصاد الخاص إلى اقتصاد المجموع الكلي العام .[10]
- تصدير الآليات الإدارية المتطورة إلى كل العالم من تخطيط وتنظيم وتحفيز ومتابعة ورقابة ومن ثم بروز فكر إداري متعولم يدير المؤسسات وفق الأسلوب والشكل الذي يتفق مع احتياجات ومتطلبات العولمة .
- صناعة وعي جديد من خلال مفاهيم وقناعات ووسائل ووسائط ثقافية جديدة تتفق مع عصر العولمة .

[8] عبد المنصف حسين رشوان ، العولمة وآثارها " رؤية تحليلية إضافية " ، الجامعة الحديثة ، مصر ، 2006 ، ص 8
[9] المرجع نفسه ، ص 8
[10] عبد المنصف حسين رشوان ، العولمة وآثارها " رؤية تحليلية إضافية " ، مرجع سابق ، ص 9

- إحلال مجموعة من القضايا السياسية العالمية محل قضايا السياسة الدولية القائمة الآن والتي ترتبط بفكرة الوحدة العالمية كمنبع لتدفق تيار العولمة .[11]
- ظهور مجتمع حضاري مدني الذي يجسد فكرة الإنسان العالمي بما له من حقوق وما عليه من واجبات وما يثيره هيكل القيم وبنيان العادات والتقاليد المعولمة والتي تحث على إنشاء قضايا إنسانية مشتركة تشكل في مجموعها العام إطار المجتمع الكوني المتعاظم .[12]

المسيحية والعولمة :

يرى كثير من المنظرين المسيحيين وبالأخص الكاثوليك منهم أن العولمة ليست خيرا محضا ولا شرا خالصا وهو يتوجب على الجميع توجيه هذه الظاهرة في خدمة الإنسانية فقد جاء في حديث البابا يوحنا بولس الثاني إلى أعضاء المجلس الحبري للعلوم الإجتماعية : " في المطلق ليست العولمة حسنة أو سيئة تكون على ما نريدها نحن البشر أن تكون ليست الأنظمة بوجه عام هدفا في حد ذاتها لذا علينا أن نعمل جاهدين لكي تغدو العولمة كما الأنظمة كلها في خدمة الشخص البشري والخير العام وتعزيز التضامن بين البشر "[13]

إن هذا الموقف يعد محل اتفاق ونقطة انطلاق لكثير من المنظرين المسيحيين في علاقة المسيحية بالعولمة ونظرة الكنيسة لهذه الظاهرة المعاصرة ،
ومن جهة ثانية نلاحظ أن هذا الموقف يبدو عليه نوع من الحيادية وعدم إصدار الأحكام المسبقة على هذه الظاهرة كون الكنيسة تعي أنها لازالت في طور التبلور والإنتشار ، كما أن المراجع الدينية تجد نفسها في طور التعرف على هذه الظاهرة مقرين أنهم في حاجة إلى الوقت الكافي للكشف عن حقيقة هذا المعطى الجديد وعن تداعياته الأخلاقية.[14]

---

[11] عبد المنصف حسين رشوان ، العولمة وآثارها " رؤية تحليلية إضافية " ، مرجع سابق ، ص 9

[12] المرجع نفسه ، ص 9

[13] الأب جوزيف بورعد الأنطوني ، المسيحية والعولمة " تحدي إعادة صوغ الهوية الدينية "
http://maaber.50megs.com/issue_december07/perenial_ethics1.htm

[14] الأب جوزيف بورعد الأنطوني ، مرجع سابق .

ومع أن هذا التطور فرض نفسه على الجميع لكنه ليس مستحيلا السيطرة عليه وإعادة إدارته وتوجيهه بضوابط أخلاقية تجعله في الأخير خادما للبشر جميعا وخصوصا المهتمين منهم فهذا التوجيه أصبح ملحا بشكل كبير لتثبيت العدالة والسلام في العالم أجمع .

وما يجعل المسيحية في موقع متميز تجاه حركة العولمة حسب موقف الأب جوزيف بورعد الأنطوني هو نزوع الرسالة المسيحية إلى العالمية والشمولية " إذ أن الخطاب المسيحي يتوجه إلى كل إنسان بغض النظر عن الزمان والمكان اللذين يعيش فيهما وعن الحضارة التي ينتمي إليها ، العالمية بعد أساسي من أبعاد الرسالة المسيحية إذا أن لها جذور كتابية واضحة ... لذلك فإن الظاهرة لا تربكها بل بالعكس تتناسب مع رسالتها الشاملة من ناحية ، وبما أن المسيحية تمتلك هي الأخرى مشروعا عالميا فهي قادرة أن تسدد بقيمها وتعاليمها هذه الحركة بما يعود بالخير على البشرية جمعاء " [15]

وبحسب تصور الأب جوزيف الأنطوني أنه يمكننا تقديم نموذجين للعولمة حسب ما ورد في الكتاب المقدس الذي يورد نموذجين لتواصل الشعوب بعضها مع بعض مع اختلاف تصور ومفهوم كل نموذج .

يروي سفر التكوين في إصحاحه الحادي عشر محاولة أبناء البشر إنشاء مدينة لهم وهي بابل وتشييد برج في وسطها لكن هذه المحاولة باءت بالفشل بل أدت بهم إلى عكس ما كانوا يتمنون :

" وكانت الأرض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة وحدث في ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة في أرض شِنْعَار وسكنوا هناك وقال بعضهم لبعض : هلم نصنع لِبْنًا ونشويه شيًّا فكان لهم اللِّبْن مكان الحجر وكان لهم الحُمَر مكان الطين وقالوا هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء ونصنع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الأرض ، فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنوا آدم يبنونهما وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه ، هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة لذلك دُعي اسمها " بابل " لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض " [16]

فالبشر حسب هذه الرواية كانوا شعبا واحدا يتكلمون لغة واحدة اتفقوا يوما على بناء مدينة وبرج شاهق يصل إلى عنان السماء لعلهم يخلدون ويعبر هذا المشروع عن عظمتهم واقتدارهم ، لكن الرب ساكن السماوات لم يرقه هذا فقرر معاقبتهم على فعلتهم هذه فبلبل لغتهم إلى لغات عديدة بحيث منع التواصل بينهم فلا يفهم بعضهم لغة بعض ثم عزم الرب على تفريقهم من هناك على وجه الأرض فلا

---

[15] المرجع نفسه .

[16] مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة ، تفسير سفر التكوين ، ج1 ، مطبعة دير الشهيد مارمينا العجائبي بمريوط ، مصر ، ط1، 2006 ، ص 97

يجمعهم بعد ذلك مكان أو مدينة فتنتفي بذلك مقومات وحدتهم أو قوميتهم فلا يعودوا شعبا واحدا بل شعوب .[17]

لو أسقطنا هذه الرواية على واقع العولمة يمكننا التساؤل ألا نعيش اليوم في قرية كونية تتقاصر فيها المسافات تدريجيا وتفرض فيها لغة المعلوماتية نفسها لغة أساسية للتواصل بين الشعوب على اختلاف أجناسهم ومواقعهم ؟

يجيب عن هذا التساؤل الأب جوزيف بورعد الأنطوني أن علة هذا النموذج الوحدوي في هدفهم الأخير وهو إبراز عظمة الإنسان وجبروته ليس إلا ، ولكن لماذا لم يرض الرب بهذا النموذج الوحدوي وبددهم بعد ذلك ؟ المرجع نفسه

إن اندثار وحدة البشر في هذا النموذج سببه تحول تلك الوحدة إلى هدف في حد ذاتها لا كسبيل يعبر بواسطتها إلى ما هو أسمى منها أي لتعزيز حياة الإنسان وإعلاء شأنه ،

فمفهوم الوحدة في هذه الرواية التي عمل في سبيلها أهل بابل كانت تقوم على التماثل uniformisme والكليانية totalitarisme بمعنى إلغاء التمايز بين الأرض والسماء وبين الأفراد أنفسهم ومن هذه النقطة بالذات يكمن الإختلاف مع العولمة .

الأب جوزيف بورعد الأنطوني ، [18]

أما النموذج الثاني فنجده في سفر أعمال الرسل في الإصحاح الثاني الذي يروي أن الروح القدس حل على تلاميذ يسوع فقد كانوا مجتمعين في أورشليم في مكان واحد بعد صعود معلمهم وربهم إلى السماء فبعد هذا الحدث الخارق أخذ هؤلاء يتكلمون بلغات غير لغتهم واتفق ذلك انه كان في أورشليم يهود من كل أمة تحت السماء فأخذ الرسل يخاطبونهم ويحدثونهم بعجائب الله لكن هؤلاء الحجاج دهشوا جدا حين سمعوا أتباع يسوع الجليليين يحدثون كلا منهم بلغته فخطابهم الذي وحد هذه الجماهير على اختلاف مشاربهم لم يلغ الفوارق فيما بينهم بل دفع بهم في اتجاه واحد ألا وهو سماع كلمة الحياة والخلاص والسير على هدى منها :

" ولما حضر يوم الخميس كان الجميع معا بنفس واحدة وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار استقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا ، وكان يهود رجال أتقياء من كل امة تحت السماء ساكنين في أورشليم فلما صار هذا الصوت

[17] الأب جوزيف بورعد الأنطوني ، مرجع سابق

[18] الأب جوزيف بورعد الأنطوني ، مرجع سابق

اجتمع الجمهور وتحيروا لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته فبُهت الجميع وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض أترى أليس جميع هؤلاء المتكلمين
جليليين ؟[19]

وجاء في الآية 14 : " فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم أيها الرجال اليهود والساكنون في أورشليم أجمعون ليكن هذا معلوما عندكم وأصغوا إلى كلامي "[20]

من خلال هذه الرواية نلاحظ أن الشمولية التي جاءت في هذا السياق ليست هدفا في حد ذاتها بل هي طريق يعبر عليه إلى كلمة الحياة ومنه إلى الإنسانية جمعاء ،

ولذلك فالعالمية بهذا المفهوم هي مشروع وحدوي يتحقق من خلال احترام خصائص الأشخاص والمجتمعات ومزاياها ولعل هذه نقطة تكاد تكون ممايزة ومباينة لمشروع العولمة القائم على سحق هذه الخصائص والمزايا وإلغائها فاحتفاظ الإنسان بلغته وهويته الخاصة حسب الأب جوزيف بورعد الأنطوني لا يشكل عائقا في تواصله مع الآخرين .

عالمية الإسلام وعولمة الغرب :

العالمية هي نزعة إنسانية تهدف إلى التفاعل بين الحضارات والتلاقح بين الثقافات وتقوم على التعاون والتساند والتكامل والتعارف بين الشعوب والدول هي أقرب إلى الحوار منها إلى الصدام ،
تنفتح على المشترك الإنساني العام وفي الوقت نفسه تحافظ على الخصوصيات الثقافية لكل منها في إطار توازن المصالح لا توازن القوى بين الشعوب والحضارات .[21]

وكما أن هناك تمايزا حضاريا وخصوصيات حضارية لكل من الصين والهند واليابان والغرب والإسلام وغيرها ،
فكذلك نجد أن بعض الحضارات تتميز بالمحلية مثل الهند والصين واليابان ، بينما تتميز حضارات أخرى بقابليتها للتمدد العالمي وإمكانية العطاء خارج الحدود الجغرافية التاريخية كالحضارتين الإسلامية والغربية ،

---

[19] " القس أنطونيوس فكري ، سفر أعمال الرسل ، مشروع الكنوز القبطية ، مصر ، دط ، ص 22

[20] المرجع نفسه ، ص 23

[21] محمد عمارة ، بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية ، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، مصر ، ط1 ، 2009 ، ص 11

فالحضارة الأوروبية الغربية تميزت بإمتداداتها العالمية منذ طورها الإغريقي الروماني ، وتميزت الحضارة الإسلامية به منذ انبعاثها من دفتي القرآن الكريم ، فالقرآن حدد مقومات الأمة الإسلامية الواحدة وكانت عالميتها ثمرة من ثمرات عالمية الرسالة الإسلامية التي شاء الله عز وجل أن يجعلها خاتمة شرائع السماء إلى الإنسان .[22]

وقد جاء الحديث عن العالمية مبكرا في الفترة المكية للدعوة عبر القرآن الكريم :

(وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) سورة يوسف الآية 104 . (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) سورة الأنبياء الآية 107 ، (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) سورة الفرقان الآية 01 ،

فكانت الأمة الإسلامية وحضارتها متجسدة بشكل دائم حيثما وجدت تعاليم الإسلام وقيمه على امتداد الزمان والمكان،

ففي المصطلح القرآني لم يأت تعريف الأمة بتلك الصفات المنغلقة الجامعة المانعة وإنما جاء عنوانا على الجماعة أية جماعة منفتحة ومستوعبة وممتدة ودائمة التحقق على اختلاف الأزمان والامكنة والمجالات .[23]

غير أن عالمية الإسلام لا تعني البتة الإنفراد والإلغاء ، انفرادها بالعالم وإلغاء الآخر وإنما تعني في صميمها التفاعل والتدافع والتسابق مع الآخر في ظل التأكيد على التنوع الحضاري والتعددية الثقافية والإختلاف بين الأمم والشعوب لونا وجنسا وعرقا ولسانا ولغة وقومية في الشرائع والملل الدينية ، هذا التنوع والإختلاف هو القانون الطبيعي والتكويني والسنة الإلهية التي لا تبديل ولا تحويل لها .

فكل حضارة تتميز عن غيرها ببصمتها الثقافية وكل ثقافة من الثقافات تتميز عن غيرها برؤية انسانها للكون ولمكانة هذا الإنسان في الكون .[24]

وإذا كانت الحضارة الغربية في ظل لاهوتها النصراني تنظر إلى الإنسان انه صورة للإله وفي ظل حداثتها العلمانية الوضعية ترى أن الإنسان سيدا لهذا الكون فإن الحضارة الإسلامية تنطلق من رؤية للكون تقوم على أن الواحدية والأحدية فقط للذات الإلهية المنزهة عن الند والشبيه والمثال ، [25]

كما ترى أن كل ما عدا الذات الإلهية من إنسان وحيوان ونبات وجماد من عوالم الخلق قائمة على سنة التنوع والتعدد والإختلاف فالناس شعوب وقبائل : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى

---

[22] المرجع نفسه ، ص 12

[23] المرجع نفسه ، ص 13

[24] محمد عمارة ، بين العالمية الإسلامية والعولمة ، مرجع سابق ، ص 13

[25] المرجع نفسه ، ص 14

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا *إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ*) سورة الحجرات الآية 13 .

والناس ألسنة ولغات وقوميات وألوان وأجناس : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ *فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ*) *سورة الروم الآية 22* .

والناس تختلف دياناتهم وعقائدهم : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ *وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ*) سورة هود الآية 118-119 .

والناس يتمايزون شرائعا وثقافات وحضارات : *(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ* إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) سورة المائدة الآية 48 .

فالناس في اتجاهاتهم شتى : (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ) سورة الليل الآية 4 .

والتدافع والتسابق هو سبيل رأب الصدع وإعادة التوازن والميزان الوسط العدل إلى العلاقات بين الطبقات والأمم والحضارات : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ *فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ*) فصلت الآية 34 .

ومعنى الصراع ليس أن يصرع طرف الأطراف الأخرى فينفرد هذا الطرف بالساحة والإمتيازات ملغيا ومقصيا التعدد والتنوع والإختلاف : (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا *فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن* بَاقِيَةٍ) الحاقة الآية 6 .

إذن فمفهوم العالمية الإسلامية هي نزوع عالمي يقوم على أن التعدد والتنوع والإختلاف قانون طبيعي متخذا من التفاعل والتنافس والتسابق ميزانا عادلا بين الإنغلاق والعزلة والذوبان والإنصهار ومن ثم تصبح الصورة الحضارية للعالم هي صورة ملتقى حوار حضارات يكون فيها التكريم لمطلق الإنسان .[26]

المركزية الغربية عنوان النموذج الغربي للعالمية :

تقوم الحضارة الغربية على النزعة المركزية ليس فقط في عصرنا الراهن – عصر العولمة الغربية – وإنما هذه الفكرة لصيقة بهذا النموذج منذ العصر الروماني الذي كان يرى أصحابه أن الإنسان هو الروماني الحر وحده وما عداه برابرة وأن دين الرومان هو الدين الوحيد وما عداه وجب اجتثاثه ، هذه

[26] محمد عمارة ، بين العالمية الإسلامية والعولمة ، مرجع سابق ، ص 16

النوعة المركزية الواحدية تم تجسيدها في عصرهم فتم إبادة النصارى بعد تشريدهم لليهود وفي مرحلة نصرانيتهم تم اضطهاد المذاهب النصرانية المخالفة لمذهبهم الملكاني ثم امتد ذلك فيما عرف بالحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت التي امتدت من 1562 م إلى غاية 1688 م أي إلى غاية عصر التنوير والتي قتل فيها نحو عشرة ملايين أي أربعين بالمائة من سكان وسط أوروبا .[27]

هذه النزعة المركزية الغربية تواصل صراعها مع الآخر غير الغربي طوال فترة استعمار الغرب للأمم والحضارات هذا الصراع والإستئصال كان على جميع المستويات ، على المستوى الفكري سحق البنى التحتية للإرث الفكري للشعوب المستعمرة ، وعلى المستوى الثقافي بتغريب المستعمرات ، وعلى المستوى الديني تنصير العالم بالنصرانية الغربية ، وعلى المستوى الإقتصادي بنهب الثروات الإقتصادية للمستعمرات بإفقارها وتحقيق الفائض والرفاه لنفسها ، وعلى المستوى الأمني تسخير الشعوب المستعمرة وإمكاناتها كوقود في الحروب الإستعمارية .[28]

إن هذه النزعة المركزية الغربية التي ترفض التعددية وتلغي وجود الآخر وتتمركز على ذاتها هي صفة لصيقة بهذا المشروع اعترف بذلك المنصفون من علماء الغرب يقول المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون Maxime Rodinson 1915- 2005 : " إن تشجيع التمركز حول الذات هي صفة طبيعية في الأوروبيين كانت موجودة دائمة لكنها اتخذت الآن صبغة تتسم بالإزدراء الواضح للآخرين وخصوصا في ظل الإمبريالية منذ منتصف القرن التاسع عشر " .[29]

مما سبق يمكن القول أن المركزية الغربية تعبر عن المفهوم الغربي للعالمية الذي يرى أن الحضارة الغربية هي الحضارة العالمية الإنسانية بل هي الحضارة وحدها وأنها النموذج الأوحد للتقدم والتحضر لذا فينبغي على العالم أن يصبغ بصبغتها .

الفلسفة كخلفية فكرية للصراع :

[27] هاشم صلاح ، التنوير الأوروبي ردة فعل الإقتتال المذهبي ، صحيفة الشرق الأوسط ، لندن ، 26 فيفري 2000 .

[28] الجبرتي ، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ، ت محمد جوهر و عمر الدسوقي ، طبعة القاهرة ، مصر 1969 ، ص 310

[29] محمد عمارة ، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء ، طبعة دار الشروق ، القاهرة ، 2005 ، ص 64

الغرب دائما كان ينظر إلى حتمية الصراع من أجل تحقيق هذه الواحدية الحضارية حتى تماهت هذه الفكرة مع بنية تكوين الحضارة الغربية ، وكانت النظريات الفلسفية التي جاءت بها فلسفة الأنوار تمثل الوقود والمحرك الذي يدفع بهذا الصراع إلى أقصاه ،

ففلسفة القوة والصراع والنفعية والغاية تبرر الوسيلة هي جوهر فلسفة ميكيافيلي Niccolò di Bernardo dei *Machiavelli*) (1469-1527) السياسية التي صاغها في كتابه الأمير ،

وفلسفة التاريخ كما صاغها هيغل *Hegel* Friedrich (1770- 1831) التي تقوم على الجدلية التاريخية والصراع بين الفكرة ونقيضها والذي يغذي هذا المنهج الجدلي هو الصراع عبر التاريخ ،

والداروينية التي جاء بها داروين *Darwin* Charles Robert (1809 – 1882) في كتابه أصل الأنواع تجعل الصراع هو قانون التقدم والتطور في علم الأحياء قانون البقاء للأصلح والأصلح هو الأقوى الذي يستحق البقاء ،[30]

وعلى المستوى الفكر الإجتماعي والعلاقات بين الطبقات حسب ماركس *Marx* Karl (1817 – 1883) وغيره كذلك كانت فلسفة تطبيقية للفلسفات الصراعية الداروينية والهيجلية في الإجتماع فالجديد دائما يستأصل القديم فالعبودية نسخت المشاعية البدائية ثم كان الإقطاع ناسخا للعبودية ، ثم كانت الرأسمالية ناسخة للإقطاع وقد بشر ماركس بنسخ الشيوعية لليبرالية الرأسمالية .[31]

إن هذه النزعة المركزية الإستئصالية والتي ترى أن الإنسان الغربي هو المركز وأن الآخر لا قيمة ولا وجود له هو الذي كان يغذي فكرة الإستعمار للشعوب غير الغربية لاستئصال هذا الآخر الثقافي والحضاري ، والأخطر في الأمر عندما تكون فكرة الإستعمار مدعومة بخلفية علمية طبيعية فلسفية ، فالقانون الطبيعي والعلمي في علم الأحياء والتاريخ والإجتماع في عالم الحضارات هو الذي يشرعن للنزعة المركزية الغربية الإستعمار واستئصال الآخر .

والسؤال الذي يواجهنا الآن ما محل العولمة من مفهوم العالمية الغربية ؟ هل هما مفهوم واحد أم بينهما اختلاف ؟

لا يوجد اختلاف بين العالمية بالمفهوم الغربي والعولمة المعاصرة إلا من حيث الدرجة فالإختلاف ليس في النوع وإنما في الدرجة فالعولمة هي تصاعد في درجة النزعة المركزية ووحدة التطبيق لها ، ولعل

[30] محمد عمارة ، بين العالمية الإسلامية والعولمة ، مرجع سابق ، ص 19

[31] المرجع نفسه ، ص 19

سبب ذلك هو التطورات الجديدة التي حصلت في العالم وعلاقة النظام الغربي بالعالم غير الغربي والذي يصبوا إلى قولبته إقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا وعسكريا بقوالب غربية ،[32]

فالعالمية الغربية والعولمة متداخلان يمثل أحدهما تعميق الآخر والدفع به إلى أقصى مدى ولذلك نجد دعوات المفكرين والفلاسفة تخدم هذا السياق وهذا المفهوم تحت مسمى نهاية التاريخ كما حدد ذلك المفكر الإستراتيجي الأمريكي " سمويل فيليب هنتنجتون

Samuel Phillips Huntington " في مقاله الكاشف عن النزعة الغربية في صراع الحضارات بمعنى أن الإنخراط في هذا المشروع هو حتمية تاريخية إن لم يكن ذلك اختيارا سيكون حتما اضطرارا وقسرا .[33]

بسقوط الشيوعية تم ميلاد العولمة الغربية وكانت احداث 11 سبتمبر 2001 بمثابة الفرصة السانحة لاستحواذ أمريكا على هذا الصيد الثمين دون حلفائها الاوروبيين هذا من جهة التاريخ والواقع ،

ومن جهة المصطلح نفسه دليل آخر ففي مصطلح العالمية يوحي إلى هامش الإختيار ، أما مصطلح العولمة فالصيغة الصرفية " فوعلة " غالبا ما يعني الدمج المخطط والقسري في قالب واحد ونفي التنوع والتعدد والتمايز والإختلاف ، وبمسح بسيط على الشعوب غير الغربية سنلاحظ ما أحدثه الإجتياح العولمي الغربي بتعبير محمد عمارة من " فرنسة " و " جلنزة " و " روسنة " و " أمركة " ، وتزايد الإجتياح بشكل طافح وغير مسبوق لصب العالم كله في قالب النزعة الغربية المركزية .[34]

نهاية المقال :

من خلال هذا البحث نخلص إلى النتائج التالية :

- أن الأديان السماوية ضرورية كالضرورات البيولوجية كونها تضع للإنسان الضوابط الأخلاقية وتخلق التوازن بين الإنسان والآخر وبين الإنسان والعالم وبين السماء والأرض .

- العولمة لها تجليات سلبية وأخرى إيجابية يمكن تثمين الإيجابيات وتعزيزها ، وتوجيه السلبيات وفق الضوابط الأخلاقية .

- أن وحدة البشر ليست غاية في حد ذاتها تجعل من الإنسان كائنا متجبرا مركزيا يلغي الآخر بل هي سبيل إلى تحقيق الخير للبشرية جمعاء .

---

[32] سليم بركات ، مفاهيم ومصطلحات العالمية والعولمة ، annabaa.org/nbahome/nba74/mafaheem.htm www.

[33] محمد عمارة ، بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية ، مرجع سابق ، ص 28

[34] المرجع نفسه ، ص 28

- العالم الغربي ليس صنفا واحدا فهناك الإنسان الغربي الذي سنجد من خلال جماهير واسعة تقف ضد هذه العولمة المتوحشة ، والثاني هو العلم الغربي الذي يعد مشتركا إنسانيا عاما يمكن أن يكون أرضية مشتركة للتواصل والتفاعل بين الأمم والشعوب دون إلغاء أو إقصاء مع المحافظة على الخصوصيات الثقافية ، أما الثالث فهو مشروع العولمة الغربية فهذا الذي ينبغي أن يتصدى له من المراجع الدينية في كل العالم .

- ضرورة الإستثمار في الجوانب الإيجابية للعولمة لتجسيد التحاور والعيش المشترك بين بني الإنسان .

- التأكيد على الإنفتاح بين بني البشر مع الحفاظ على الخصوصيات الدينية والثقافية والعرقية .

قائمة المصادر و المراجع

1- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

2- القس أنطونيوس فكري ، سفر أعمال الرسل ، مشروع الكنوز القبطية ، مصر ، دط

3- الأب جوزيف بورعد الأنطوني ، المسيحية والعولمة " تحدي إعادة صوغ الهوية الدينية " http://maaber.50megs.com/issue_december07/perenial_ethics1.htm

4- الجبرتي ، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ، ت محمد جوهر و عمر الدسوقي ، طبعة القاهرة ، مصر 1969 .

5- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت- لبنان ، 1982 .

6- سليم بركات ، مفاهيم ومصطلحات العالمية والعولمة ، www. annabaa.org/nbahome/nba74/mafaheem.htm

7- طيبي غماري ، تصورات الدين والثقافة والعولمة " تبرير للحوار أو للقطيعة بين الشعوب " ، مجلة تبين ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، قطر العدد 4 ، 2013 .

8- عبد المنصف حسين رشوان ، العولمة وآثارها " رؤية تحليلية إضافية " ، الجامعة الحديثة ، مصر ، 2006

9- عادي بن عبد القادر السقاف ، تعريف الأديان لغة وإصطلاحا ، https://www.dorar.net/adyan/5/

10- مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة ، تفسير سفر التكوين ، ج1 ، مطبعة دير الشهيد مارمينا العجائبي بمريوط ، مصر ، ط1 ، 2006 .

11- محمد عمارة ، بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية ، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، مصر ، ط1 ، 2009 .

12- محمد عمارة ، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء ، طبعة دار الشروق ، القاهرة ، 2005 .

13- هاشم صلاح ، التنوير الأوروبي ردة فعل الإقتتال المذهبي ، صحيفة الشرق الأوسط ، لندن ، 26 فيفري 2000 .